عبارة السلطان، ثم قال: أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر، فاشتد غضب السلطان وقال له: أنا جائر، قال: نعم أنت سلّطت الأقباط على المسلمين، وقوَّيت أمرهم، فلم يتمالك السلطان أن أخذ السيف وهمَّ بالقيام ليضربه، فبادر بعض الأمراء وأمسك يده، فالتفت إلى قاضي المالكية وقال: يا قَاضِ تجرأ عليّ هذا، ما الذي يجب عليه؟ فقال القاضي: لم يقل شيئاً يوجب عقوبة، فصاح السلطان بصاحب الترجمة وقال: اخرج عني، فقام وخرج، فقال ابن جماعة: قد تجرّأ وما بقي إلّا أن يزاحم السلطان، فانزعج السلطان، وقال اقطعوا لسانه فبادر الأمراء ليفعلوا به ذلك، وأحضروا صاحب الترجمة فارتعد وصاح واستغاث بالأمراء، فَرقُّوا له وألَحُّوا على السلطان في الشفاعة، ودخل ابن الوكيل وهو ينتحب ويبكي، فظنَّ السلطان أنه أصابه شيء فقال له: خير خير، فقال: هذا رجل عالم صالح لكنه ناشف الدماغ، قال: صدقت وسكن غضبه. فانظر ما فعله ابن جُماعة بكلمته الحمقاء، وما فعله صدر الدين بن الوكيل رحمه اللَّه من التَّوصُّل إلى سلامة هذا المسكين. وهكذا ينبغي لمن كان له قبول عند السلاطين أن يتحيَّل عليهم في منافع المسلمين، وحقن دمائهم بما أمكنه. فإنّ صاحب الترجمة لم يكن ناشف الدماغ ولكنه كان في هذه الوسيلة سلامته من تلك البلية. (ومات) في شهر ربيع الآخر سنة ٧٢٤ أربعٍ وعشرين وسبعمائة.

(٣٤٤)

(عَليُّ بن يُوسُف بن شَمْس الدين الفَناري الرُّوميّ)[1]

ارتحل من الروم إلى بلاد العجم فقرأ على مشايخ هَرَاة وسَمرْقَنْد وبخارى، وبرع في جميع العلوم، ودرَّس هنالك، ثم عاد إلى الروم في سلطنة مُحمَّد خان، فأمره السلطان أن يُدرِّس بمدرسة بروسة، وعيَّن له كل يوم خمسين درهماً، ثم نقل إلى مدرسة أخرى، وعيّن له ستين درهماً، ثم جعله قاضياً بمدينة بروسة، ثم جعله قاضياً بالعسكر، ومكث فيه عشر سنين. وارتفعت بسبب ولايته منزلة العلماء والقضاة. ثم عزله السلطان مُحمَّد خان، وعيّن له كلّ يوم خمسين درهماً، ولأولاده تسعين درهماً في كل يوم، وعيّن له في كلّ سنة عشرة آلاف درهماً. فلما مات السلطان مُحمَّد، وقام ولده بايزيد مقامه أعاده على قضاء العسكر، ومكث فيه مقدار ثماني سنين، ثم عُزل عنه، ثم عُيِّن له كلّ يوم سبعين درهماً، وعشرة آلاف درهم في كلّ سنة. وصار مشتغلاً بالعلم في جميع أوقاتهً لشدة شغفه بالعلم لا ينام على فراش.

---

(١) ترجمته في: كشف الظنون: ١٧٦٧؛ هدية العارفين: ١/ ٧٣٩؛ شذرات الذهب: ٨/ ١٨؛ معجم المؤلفين: ٧/ ٢٦٤؛ الأعلام: ٥/ ٣٤.

وإذا غلب عليه النوم استند إلى الجدار والكتب بين يديه، فإذا استيقظ نظر فيها. وله شرحٌ على الكافية نفيس. وكان فيه كرمٌ مُفرط، وربما ضاقت يده في بعض الأحوال فلا يجد ما يريد فقيل له: إنك قد توليت قضاء العسكر، وهو منصب عظيم فكيف لم تحفظ ما يحصل لك إذ ذاك؟ قال: كنت رجلاً سكران فلم أحفظ شيئاً، فقيل له: إذا عاد إليك المنصب فعليك بحفظ المال، فقال: إذا عاد المنصب عاد السكر معه. وكان يغلب عليه الصمت إلا إذا سأله أحد عن خدمته للسلاطين سَرَد من ذلك حكايات عجيبة. ومن ذلك أنه سأله بعض الناس عن أعظم لذّة وجدها في أيام اتصاله بالسلطان، فقال: سافر السلطان مُحمَّد خان في أيام الشتاء، وكان ينزل ويُبسط له بساطٌ صغيرٌ، يجلس عليه إلى أن تضرب الخيمة، وإذا أراد الجلوس على البساط يخرج واحد من غلمانه الخفّ عن رجليه، وعند ذلك يستند إلى شخص معين. وكانت تلك عادته، فاتفق في بعض الأيام أنه لم يحضر ذلك الرجل، فاستند إليَّ، وهذه أعظم لذة وجدتها في صحبة السلاطين. وحكى عنه بعض تلامذته أنه قرأ عليه في المُطوَّل، فكانوا يقرأون عليه كلّ يوم مقدار سطر أو سطرين من ضحوة النهار إلى وقت العصر، ولما مضت على ذلك ستّة أشهر قال: إن الذي قرأتموه عليّ إلى الآن يقال له قراءة كتاب، وبعد هذا اقرأوا قراءة الفن، فقرأنا بعد ذلك كل يوم ورقتين، وأتممنا بقية الكتاب في ستة أشهر. واستمرّ يفيد الطلبة حتى (مات) في سنة ٩٠٣ ثلاثٍ وتسعمائة.

(٣٤٥)

(عُمَرُ بن إسْحَاق بن أحمد الغَزْنَويّ العلَّامة الحنفي سِراج الدين الهِنْدي صاحب التصانيف)[1]

قدم القاهرة قبل الأَربعين وسبعمائة، وسمع من بعض أصحاب النجيب. وكان علَّامة في الأصول والمنطق والفروع، تخرَّج في ذلك بالشمس الأصبهاني، وابن التركماني. ومن مصنفاته شرح المغني، وأصول الفقه، وشرح البديع لابن السَّاعاتي، وشرح الهداية، وهو مُطوَّل لم يكمل. وكان دمث الأخلاق طلق العبارة، ولي قضاء العسكر، ثم ولي القضاء استقلالاً في شعبان سنة (٧٦٩). ومات رابع شهر رجب سنة ٧٧٣ ثلاثٍ وسبعين وسبعمائة.

---

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٣/ ١٥٤؛ النجوم الزاهرة: ١١/ ١٢٠؛ كشف الظنون: ٢٣٦، ٤٤٨، ٩٦٢؛ هدية العارفين: ١/ ٧٩٠؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٩٦؛ معجم المؤلفين: ٧/ ٢٧٦؛ الأعلام: ٥/ ٤٢.